وبما ان حجم الشمس يساوي نحو ١٬٢٩٥٬٠٠٠ ضعف حجم الارض فان ابط الجوزاء يوازي تقريباً ٣٩٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ضعف حجم ارضنا! ولو جعلنا ذلك النجم على بعد الشمس منّا لوسعت مساحته كل طول سمائنا وعرضه! أفلم يصدق والحالة هذه صاحب المزامير حيث ترنّم بعظمة الاله القدير الذي خلق ملايين من الكواكب الرائعة الكبر بمجرّد فعل ارادته . فصاح بلسان الدهشة يخاطب الله (٨ : ١ — ١٠):

«ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض وقد جعلت جلالك فوق السماوات . . . اني ارى سماواتك عمل اصابعك والقمر والكواكب التي كوّنتها . ما الانسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة . سلّطته على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميه . . . ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض!»

# المئة الثالثة لتثبيت قداسة

## اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس

للاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة ما دعا الى الاحتفال به السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر شهراً قبل وفاته التذكارُ المئوي القريب بتثبيت قداسة بعض اولياء الله الذين اعلن بسر فضلهم البابا غريغوريوس الخامس عشر في ١٢ اذار سنة ١٦٢٢ وفي مقدّمتهم قديسان عظيمان زيّنا كنيسة الله بآثارهما السنيّة تعدّهما الرهبانيّة اليسوعيّة كركنَي جماعتها . نريد بهما القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها وفرنسيس كسفاريوس اوّل مرسليها الى الشرق الاقصى

فهذا ما حدا برؤسائنا العامين الى ان يقيموا في كنيسة كأيّتنا مواسم خارقة العادة

للاحتفال بذلك التذكار الجليل خُتمت يوم الاحد في ١٢ آذار المنصرم برتب دينيَّة باهرة بادر الى حضورها عدد وافر من اهل المدينة وكانت الكنيسة مجلّلة بكسوة اعيادها تنيرها المئون من مصابيح الكهرباء ذات الضياء الساطعة المنظَّمة على اشكال مختلفة محدقةً بجراب القلب الاقدس وصورة صاحبي العيد وحنايا الهيكل بين اكاليل الزهور وسعف النخل ممَّا يأخذ بمجامع الابصار

ولا عجب باقامة هذه الاعياد في اصقاعنا السوريَّة لقديسين نبغا في الاقطار الغربيَّة. فانَّ لكليهما مآثر استفاد منها الشرق فما كان احرى به ان يُبدي لهما شكرهُ في هذا التذكار المئوي

وبياناً لذلك ها نحن نورد شيئاً من تلك المآثر الجليلة التي حظينا بها بهمَّة هذين النيِّرين اللذين سطعا في فلك الكنيسة في اواسط القرن السادس عشر

## ١ اغناطيوس دي لويولا والشرق

انَّ علاقات القديس اغناطيوس دي لويولا مع الشرق متعدِّدةٌ. شُغف بحبّه منذ نعومة اظفاره اذ كان يعاين في انحاء وطنه اسبانية آثارًا جليلة لا تزال تنبئهُ بعظمة الدول العربيَّة التي بسطت حكمها على قسم كبير من بلاده مدَّة سبعة اجيال

فلمَّا ارتدَّ الى الله في السنة الثلثين من عمره بعد حياته الشريفة في خدمة ملكه سنة ١٥٢١ كما بسطنا ذلك في احد اعداد الشرق السابقة (١٩٢١ : ٨٩٥) انقطع الى العبادة في كهف مَنْريزة واخذ يتأمل اسرار حياة سيِّده يسوع المسيح فاحسَّ برغبة عظيمة الى مشاهدة الاماكن المقدَّسة التي شرَّفها ابن الله مدَّة الثلث والثلثين السنة التي قضاها على الارض. فلم يدَّخر وسعاً حتَّى حقَّق شوقهُ فعلًا مع ما كان يتخلَّل الاسفار في ذلك الزمان من المخاطر والمشقَّات برًّا وبحرًا. الاانَّ تلك الاتعاب لم تثبط عزمهُ بل تجشَّم تلك الرحلة بصفة فقير يتزوَّد بصدقات الناس في طريقه ويقاسي بطيب القلب ما يجدهُ من العناء والمتاعب

كان سفرهُ في فصل الصيف من السنة ١٥٢٣ حيث ركب سفينةً شراعيَّة قِبَلَ البندقيَّة في ١٤ تمُّوز فبلغ بها الى قبرس ثم ابحر الى يافا فاحتلَّ مرفأها في ٣١ آب سنة ١٥٢٣ بعد ٤٨ يوماً من سفر شاقّ نجا فيه من قرصان الجزائر وانواء البحر بل انتشلته

منشئ الرهبانية اليسوعية

القديس اغناطيوس دي لويولا

(١٤٩١—١٥٥٦)

صورة عتيقة لثيث قداسة
اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس
في ١٢ آذار ١٦٢٢

قواهُ المنهوكة لتقشفاته السابقة باستنشاقه هواء البحر المحي

قضى اغناطيوس شهرين في فلسطين وحجّ الى كل مزاراتها المقدّسة ماشياً مستطياً وقلبهُ مفعم بشواعر الخشوع والتقى . وكان يودّ ان يبقى هناك وينشئ منذ ذاك الحين في اقطارنا جماعة رسوليّة تسعى بنشر الايمان لولا ما وجدهُ في طريقه من العقبات التي صدّتهُ عن تحقيق نيّته فعاد الى اسبانيا مشمولاً بعناية خاصة من الله

مرّ على اغناطيوس ١٣ سنة بعد رجوعه من القدس الشريف اعدّهُ الله فيها لانشاء رهبانيّته التي تمّ تأليف عشرة اعضائها الاولين في اواسط شهر آب من السنة ١٥٣٧ اذ اجتمعوا في يوم عيد انتقال العذراء الى السماء في كنيسة مونمرتر في باريس فارتبطوا بالنذور الرهبانيّة الثلثة الفقر الاختياري والعفّة وابدلوا نذر الطاعة بنذر آخر وهو السفر الى الاراضي المقدّسة للتبشير بالايمان . ومنهُ يتّضح ما كان يستعر في قلب اغناطيوس من الشوق لخدمة بلادنا الشرقيّة

وقد ثبت اغناطيوس على قصده ونال الرخصة من الحبر الاعظم بولس الثالث بان يذهب ورفقتهُ الى الشرق ليبشّر معهم بالسيّد المسيح وسعى بذلك غاية جهده في البندقيّة الّا انّ الحرب التي انتشبت بين السلطان سليمان القانوني وجمهوريّة البندقة اعترضت دون عزمه الى ان أيسوا من اتمام ما نذروهُ لله . فعوّضوا عن ذلك بما تولّوهُ من الاعمال الرسوليّة في كل اعمال ايطالية حتّى ذاع صيتهم واخذ الاساقفة والملوك يتسابقون في طلب البعض منهم ليرشدوا رعاياهم ويتصدّوا للبدع المستحدثة في انحاء بلادهم وما لبث الحبر الاعظم بولس الثالث ان اعلن رسميًّا برهبانيّتهم واثبت قوانينها في ٢٧ ايلول ١٥٤٠

وكان اغناطيوس لا يزال يترصّد الفرص ليفتح لابنائه ابواب الشرق ولاسيما الاراضي المقدّسة وكاد يرى ما يتمنّاهُ متحقّقاً في السنة ١٥٥٣ . فانّ زعيم فرسان القبر المقدّس المدعو دون بيار دي زارات تقدّم الى خلف البابا بولس وهو يوليوس الثالث ونال من كرمه ان يُسمح لفرسان القبر المقدّس بان يؤلفوا شركة منظّمة في الشرق ويعهدوا الى الرهبانيّة اليسوعيّة لتفتتح في الممالك العثمانيّة ثلث مدارس جامعة الواحدة في القدس والثانية في الاستانة والثالثة في جزيرة قبرس ونشر البابا براءة في ذلك تاريخها ٦ تشرين الاوّل ١٥٥٣ . وكانت هذه البراءة مفقودة حتّى اكتشفها حضرة الاب

هنري لامنس في ثينة في المكتبة الشهيرة بروسيانا (Rossiana) التي نُقلت اليوم الى رومية فنشرها في مجلة المباحث (Etudes, *Juin*, 1896)

الا انّ تلك المساعي والبراءة البابويّة لم تبرز الى حيّز الوجود لمناهضة وجدها دي زارات في سبيله من قبل بعض المعترضين وذوي الغايات فتأجلت رغائب منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة في خدمة الشرقيين. ثمّ انتقل الى جوار ربّه في ٣١ آب ١٥٥٦

لكنّ الله منحهُ قبل وفاته لتحقيق آماله ان ينتظم في سلك رهبانه شابًا ذكيًّا شرقيّ الاصل مرتدًّا عن اليهوديّة تربد به الاب جوان باطشتا اليانو المرسل مرّتين كسفير الى الموارنة في لبنان وفي انحاء الشام وكان اعظم ساعٍ في فتح مدرستهم الرومانيّة التي ادخلت الطائفة المارونيّة في طور جديد بمن تخرّجوا فيها من النوابغ وقد ذكرنا شيئاً من اخباره سابقاً في هذه المجلّة

ثمّ ورث رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة المأمون عن منشئهم محبّتهُ للشرق فاصفا لهم الجوّ حتّى فتحوا الرسالات الشرقيّة المتعدّدة في الاستانة وجزائر اليونان كاخائية وفكسوس وفي انحاء الاناضول والارمن والعجم كازمير وارزروم واصفهان وفي جهات الشام ولبنان كحلب ودمشق وطرابلس وصيداء وعينطورا وفي مصر والحبش كالاسكندريّة والقاهرة وقندهار فأتى ابناء اغناطيوس من الاعمال الرسوليّة ما ابهج كنيسة الله وسرّ قلب ابيهم المتشفع بسعادة الابرار

وهذه الرسالات قد تجدّد معظمها في القرن الماضي الى اليوم بعد انقطاعها مدّة بسبب النكبات التي حلّت بالرهبانيّة اليسوعيّة كعبيد الاشرار في اواخر القرن الثامن عشر. فلا شكّ ان اباهم القديس اغناطيوس يرى من طوّ مقامهِ ابناءهُ يفلحون تلك الكرمة التي اشتهى هو ان يسقيها بعرقهِ ودمهِ

ولهذا القديس العظيم مأثرة جليلة أخرى في هذه البلاد يعود اليهِ فضلها تماماً تربد بها كتاب رياضاته الروحيّة الذي ألّفهُ بوحيٍ خاصّ من الله فينعش في قلوب كلّ من يمارس تلك الرياضات روح التقى والغيرة المسيحيّة الصادقة. واليوم قد عمّ استعمالها سنويًّا في كلّ انحاء الشرق وساثر الطوائف الكاثوليكيّة وفي المدن والقرى فيُجنى منها اطيب الثمار الخلاصيّة

## ٢ القديس فرنسيس كسفاريوس والشرق

ان كان لاغناطيوس دي لويولا فضل على الشرق الادنى فانَّ لتلميذه فرنسيس كسفاريوس فضلًا اعظم على الشرق الاقصى اعني الهند واليابان والصين . الَّا ان تلك الدعوة الخاصَّة كان يُقتضى للقيام بها رجلٌ مؤيد بقوَّة من الله جامع لكل الصفات الطبيعيَّة التي يتقادلها الناس كجمال الخلقة وتوقد الذهن والمروءة ورباطة الجأش والاستعداد لاقتحام كلّ المخاطر . وهذه الصفات كلّها قد منحها الله عبدهُ فرنسيس

كان مولدهُ في ٧ نيسان ١٥٠٦ في تخوم اسبانية المجاورة لفرنسة في قصر اسرته العريقة بالشرف . وما كاد يبلغ اشدَّهُ حتَّى انكبَّ على درس العلوم في وطنه اوَّلًا ثمَّ في عاصمة فرنسة فبرع فيها براعة غريبة حتى قضى رفاقهُ ومعلّموهُ العجب من ذكائه واناطوا اليه تدريس الفلسفة في كليَّة باريس التي كانت تُعَدّ وقتئذٍ في مقدّمة كلّ مدارس اوربَّة فطمح ببصره الى اشرف مناصبها

الَّا انَّ الله كان يريدهُ لما هو اجلّ واعظم من ذلك فارسل لهُ عبدهُ اغناطيوس الذي زهَّدهُ في مجد العالم وكلّ زخارفه ورغَّبهُ في الخيرات الروحيَّة الثابتة وفي خدمة ملك الملوك وكنيسته فصمَّم الآذان مدَّةً دون نصائحه الى ان فتح الله على قلبه فأبصر الحقيقة وبعد ان ارتاض تحت يد اغناطيوس برياضاته الروحيَّة خرج منها رجلًا جديداً لا يعرف كالرسول المصطفى الَّا يسوع وإيَّاه مصلوباً

وكان فرنسيس يتوق كمرشده اغناطيوس الى التبشير في اصقاع فلسطين وسوريَّة . لكنَّ الله كان اختارهُ لمهامّ أسمى وخدمات اجلّ في سبيل الكنيسة ولمجده تعالى

وكان البرتغاليُّون في تلك الأيام قد سادوا الى الهند وفتحوا منها قسماً فرغب ملكهم يوحنَّا الثالث وكان رجلًا ذا دين وتُقى ان يردّ الى الايمان الكاثوليكي اهل تلك البلاد الوثنيين فطلب من القديس اغناطيوس ان يرسل اليه بعض رفقته لهذه الغاية فتعيَّن لذلك فرنسيس كسفاريوس . فشكر الله على هذه النعمة وبها تحقَّق ما كان رآهُ غير مرَّة بالحلم اذ كان يشاهد هنديًّا اسود اللون طويل القامة زاكياً على عاتقه يكاد يسحقهُ بثقله فيئنّ فرنسيس من شدَّة ضغطه حتَّى يسمعهُ رفقتهُ الراقدون بقربه

وقع يوم سفر كسفاريوس من لسبونة عاصمة البرتغال الى الهند في ٧ نيسان ١٥٤١ وعمرهُ اذ ذاك ٣٦ سنة . وكان الحبر الاعظم بولس الثالث قد زوَّدهُ ببركتهِ قبل خروجه من رومية وخوَّلهُ انعامات شتَّى وجعلهُ نائباً رسولياً لهُ في الاقطار الهنديَّة بموجب براءة سلَّمهُ اياها

لم تَدُم رسالة فرنسيس كسفاريوس في الهند والشرق الاقصى الَّا عشر سنوات قضى ثلاثة اعوام منها في الاسفار فانَّ سفرهُ الاوَّل من لسبونة الى غوا اقتضى ١٣ شهراً اذ لم تبلغ به السفينة الى الهند الَّا في ٦ أيار ١٥٤٢ . وعليه قس بقيَّة اسفارهِ الى جزائر الهند ثم الى اليابان ورجوعهُ منهُ الى الهند ثم سفره الى الصين . فلم يبق لهُ للتبشير بالايمان الَّا سبع سنين ومع قصر هذه المدَّة قد اتى فرنسيس باعمال جبَّاريَّة لم يرَ مثلها الَّا لرسل المسيح الاوَّلين

على انَّ القديس في اسفارهِ ايضاً كان يُفرغ كنانة المجهود في إصلاح مَن يركبون معهُ السفينة من وثنيين ومسلمين ونصارى فكم من الآيات اجترحها امامهم . وكم ردَّ منهم الى الايمان المستقيم بكلامهِ وقدوة سيرتهِ . وكم نجَّاهم من الغرق بصلاتهِ

بيد انَّ معظم مآثرهِ انَّما كانت بين عبدة الاصنام . فبعد أن قضى عدَّة اشهر في غوا وردَّ اهلها النصارى والبرتغاليين عن فتورهم وسيرتهم الشريرة حتَّى بعث فيهم روحاً جديدة واضرمهم غيرةً في امر خلاصهم ثمَّ انشأ لهم مدرسةً اكليريكيَّة لتهذيب الشبَّان المرشحين للكهنوت سار الى سواحل مدوراي وردَّ الى النصرانيَّة اهلها واكثرهم يرتزقون بالغوص في البحر لنزع اللآلئ من اصدافها وكانوا قديماً على النصرانيَّة الَّا انَّهم بتمادي الزمان فسد ايمانهم باضاليل الوثنيين فارشدهم فرنسيس الى الحقّ وثبَّتهم في ايمانهم وهم لا يزالون الى اليوم يذكرون تعاليمهُ ويتشبَّثون بارشاداتهِ

ثمَّ بشَّر فرنسيس سكَّان راس قرين وتجوَّل في مدنها وقراها ودعاهم الى الايمان وثبَّت تعاليمهُ بشفاء المرضى وصنع المعجزات فآمنوا واعتمدوا فعمَّر لهم الكنائس والمدارس

ثمَّ دخل مملكة تراڤنكور وعرض على ملكها واهلها ايمانهُ وأيدهُ بالعجائب الالهيَّة فأقام ميتَيْن الواحد نبشهُ من قبرهِ وكان الآخر محمولاً على النعش وطرد الشياطين وردَّ باشارة الصليب جيشاً من اعداء تلك المملكة فآمنوا جميعهم ونبذوا

عبادة الاصنام ولم تمض مدّة قليلة حتّى شيّد لهم في انحاء المملكة ٤٥ كنيسة وعمّد في شهر واحد عشرة آلاف رجل

فشاعت سمعة القديس في انحاء الهند فكان اصحابها يرسلون اليه السُعاة ويطلبون منهُ ان يذهب الى بلادهم ويصبغهم بمياه المعموديّة فبشّر اهل جزيرة منار وازال عنهم بشفاعتهِ الطاعون الذي فشا بينهم . ثمّ زار في مدينة ملبابور قبر القديس توما الرسول واصطنع فيها عدّة عجائب ارتدّ بسببها كثيرون الى التوبة

وقد تمّ لهُ كلّ ذلك بثلاث سنوات . وهو يسير في رسالاتهِ على الاقدام حافياً مرتدياً بثياب رثّة كالفقراء فتزيد بسيرتهِ هذهِ هيبتهُ في النفوس

وفي السنة ١٥٤٥ ابحر القديس الى جزائر الهند فبشّر بالنصرانيّة في مَلَقا ثمّ اخذ ينتقل من جزيرة الى اخرى فنصّر اهل جزيرة امبوانة وبارانورة وأولاط وجزيرة ترنات وجزائر الملوك الخمس وقد اثمر فيها كلها ثمارًا من البرّ لا تُحصى وذلك خصوصاً بما كان يصطنعهُ من الخوارق فانّهُ في مَلَقا احيا فتاةً ميتة وردّها لاهلها سليمةً ونجّى السفينة الحاملة لهُ الى امبوانة من القرصان . وفي جزيرة اولاط انقذ الملك ورعاياهُ بالتماسهِ المطر من السماء بعد حبسهِ مدّة اشهر والمدينة على وشك فتح ابوابها للعدوّ لنفاد المياه . فرجع العدوّ مُدبِرًا واعتمد الملك ورعيّتهُ . وردّ اهل ترنات بما اوحى اليهم من الامور البعيدة متنبّأً بوقوعها . وهدى مَلِكتها بقوّة براهينهِ في اثبات الدين المسيحي . وعمّد في جزيرة تولو ٢٥٠٠٠ من الكفرة . وعلى يدهِ اهتدى اهل جزيرة المور وتنصّروا وكانوا قوماً من الهمج يأكلون لحوم البشر . وكان الساكنون في بعض هذه الجزائر يعاندون الحقّ فيتهدّدهم القديس بغضب الله فلا تلبث ان تصيبهم انواع من البلايا فينيبون الى الربّ فتكفّ عنهم

وكأنّ الهند مع طولها وعرضها وكثرة سكّانها لم تكفِ لتبرّد غليل فرنسيس كسفاريوس فاراد ايضاً ان يُبحر الى اليابان وكان بلغهُ ان بعض تجّار البورتغاليين قد سافروا اليها للمتاجرة فتأثّر من ذلك ايّ تأثير وساءهُ ان يرى قوماً يقتحمون الاهوال الى اقاصي البلاد لأرباح زمنيّة فيسبقون رُسُل المسيح وطالبي ملكوت الله

فبعد ان زار ثانيةً مقامات المرسلين في الهند وتحقّق ثبات المرتدين الى الايمان واضاف اليهم غيرهم كثيرين من المهتدين ركب سفينةً لاحد الهنود كادت تتلف

غرقاً لولا شفاعة القديس فبلغت به الى مدينة كنفوكسيما في ١٣ آب سنة ١٥٤٩

فلمَّا نزل الى البرّ اخذ يبشر بالمسيح بواسطة ترجمان ياباني كان القديس هداهُ الى الايمان في الهند يُدعى بولس انجر . لكنَّ الله بعد حين اتاح لهُ ان يتكلَّم بألسنتهم وذلك بمعجزة ظاهرة فبعد ان دعا اهل كنفوكسيما الى المسيح رحل الى مملكة فيرَندو فعمَّد ابن ملكها والملكة امَّهُ وكثيرين من ارباب الدولة . وانتقل الى مياقو عاصمة البلاد في ذاك الحين والى حاضرتهم امَنجوشي ثم الى بلاد بُنغو وهو في كلّ هذه المدن يُعلن بحقائق الدين المسيحيّ ويدافع عنها امام ملوك اليابان وضدّ كهنة الاصنام ويؤيدها بالمعجزات الباهرة كاقامة الموتى وطرد الشياطين وابطال اعمال السحر . ويمارس حيثما حلّ لسمى الفضائل الانجيليَّة من صوم وصلاة ومقاساة الشتائم والاهانات والصفح عن المجرمين حتَّى انَّ الاعداء نفسهم اقرُّوا بفضلهِ واذعن كثيرون من ملوكهم وامرائهم وعلمائهم الى دينهِ وفيهِ قال حينئذٍ احد زعماء البروتستانت : « يا ليتك وانت انت تكون من حزبنا مشايعاً لنا » ولكن هيهات ان يقوم مثلهُ في غير كنيسة المسيح الحقيقية !

لم يكتفِ كسفاريوس بنشر الانجيل وصَبْغ الالوف المؤلفة من الوثنيين بمياه المعموديَّة لكنَّهُ اراد ان يثبت النصرانيَّة في تلك الاصقاع لئلَّا تزعزعها انواء الاضطهادات فناب عنهُ مرسلين غيورين من رهبانيَّتهِ فنمت تلك الغرسة الصالحة في تلك التربة الجيِّدة حتَّى اصبحت بعد حين دوحةً عظيمة وارفة الظلّ تأوي اليها جماهير المؤمنين الذين ضحَّوا بعد سنين قليلة النفس والنفيس في سبيل ايمانهم فمات منهم عددٌ لا يحصى شهداء المسيح بكل رضًى وطيب خاطر حتَّى العذارى الفتيات والاولاد الاحداث فسرَّفوا الكنيسة بثباتهم الى آخر نفس من حياتهم

هذا كلُّهُ عائدٌ فضلهُ الى ذاك الأكّار الصالح الذي عرف في اي تُربة يُلقي زرعهُ لئلَّا تدوسهُ الأقدام وتخنقهُ الاشواك وتنقرهُ طيور السماء

كان رجوع فرنسيس الى الهند في اواسط نيسان من السنة ١٥٥٢ لكنَّ سفرهُ بحرًا طال بسبب الانواء والاخطار الى كانون الاوَّل فما كادت قدمهُ تطأ البرّ في غوا حتَّى اسرع الى زيارة الرسالة الهنديَّة فوجدها طبق مرامهِ نامية راقية تبهج نظر الله وكنيسته على انَّهُ كان بلغهُ مدَّة اقامتهِ في اليابان انَّ اهل تلك الدولة يعتبرون الصين

كمركز الحضارة ورأس المدنيَّة فقال لهُ كثيرون انَّهم اذا رأوا الصينيين يتضوون الى الدين المسيحي يقتدون بهم لا محالة . فكان ذلك باعثاً قوياً دفع كسفاريوس الى السفر الى الصين لينصر اهلها . ولم يَرُعهُ ما كان يسمعهُ من المخاطر المتعدّدة وصعوبة النفوذ في تلك البلاد الموصدة الابواب للأجانب . فان ذكر هذه الاخطار ما كانت الَّا لتزيدهُ رغبةً في تحقيق امانيه . وكان ناوياً بعد تبشيره في الصين ان يسير براً الى اوربة فيرد روسية الى الكنيسة ثمَّ يسعى بارتداد البروتستانت في المانية فيرى الارض صغيرةً بازاء غيرته

فاخذ من ثمَّ يستعدّ لهذا السفر الجديد ولم يلبث ان باشرهُ وغمَّ ما وجدهُ في اتمام قصده من المشقات لاسيما من قبل والي مَلَقا البورتغالي فابحر الى جزيرة سنسيان التي هي مدخل الصين راجياً ان ينتقل منها قريباً الى كنتون . لكنَّ الله اكتفى بحسن نيَّته ورأى ان يجازيهُ عن كلّ اعماله مجازاة البطل الشهم الذي خدَم سيّدهُ اخلص خدمة فأُصيب في تلك الجزيرة بحُمَّى خبيثة انهكت قواهُ وكانت سبب وفاته في ٢ ك ١ سنة ١٥٥٢ فكان كموسى المتوفّى بازاء ارض الميعاد

ثمَّ نُقل جسد القديس الطاهر دون ان يصيبهُ الفساد وتعدّدت المعجزات بشفاعته بعد وفاته ولا يزال جسدهُ الى اليوم سليماً دون اثر الفساد في مدينة غوا في كنيسة بديعة شُيّدت ذكرًا لهُ . وعلى قبره مشهد فخيم من المعادن الغالية الثمن والحجارة الكريمة مثَّلوا عليه اعمال القديس وعجائبهُ . وكلّ خمس سنوات تجتمع اساقفة الهند وجمهور عظيم من الناس فيُفتح القبر وتُعرض جثَّة القديس المحفوظة بلا تحنيط في هيئتها الطبيعيَّة فيراه الزوَّار كأنهُ مضطجع نائم

ثم بلغت الكرسيّ الرسولي تفاصيل سيرة القديس واعماله العجيبة وآياته الباهرة في حياته ومماته . فبعد الفحص المدقّق عن قداسته وفضائله السامية نُصبت ذخائرهُ على المذابح ودُوّن اسمهُ في سجلّ اولياء الله

وكان في الوقت ذاته قد جرى الفحص عن حياة اغناطيوس دي لويولا وثبتت ايضاً براءتهُ الفائقة وعظم فضله وفضيلته . فكان الاعلان بقداسة اغناطيوس وابنه الروحيّ فرنسيس كسفاريوس في يوم واحد فتمجَّد الله بعبدَيه وهما حتى يومنا هذا زينة كنيسته واحسن قدوة لمن يقصد خدمتهُ تعالى في الحياة الرهبانية وفي العيشة الرسولية بل اصبح اسمهما مرادفاً للغيرة في نشر مجد الله الاعظم والتفاني في خلاص النفوس